

نص الرسالة التي وجهها جلالة الملك إلى اجتماع مجلس إدارة مؤسسة الثقافات الثلاث والأديان الثلاث لحوض المتوسط

" معالي السيد مانويل شافيز رئيس خونطا دي أندلسيا،

معالي السيدات الوزيرات والسادة الوزراء،

أصحاب المعالي والسعادة،

حضرات السيدات والسادة،

ها هي ذي عشر سنوات قد ولت، اليوم العاشر من مارس 1999، منذ ذلك الحين الذي ضربت فيه المملكة المغربية وإسبانيا موعدا للقاء هنا، بحاضرة اشبيلية التي تتوسط عقد الأندلس. ذلكم اللقاء الذي كان الدافع إليه الرغبة في الإعراب عن انخراطنا المفعم بروح التبصر والإرادة القوية في تلكم الرؤية التي ننطلق منها لتصور ما ينبغي أن تكون عليه مصائرنا المشتركة، والتي قوامها الإنصات للآخر والمزاوجة بين كل ما نزرع به من مقومات التنوع ومظاهر الاختلاف.

وقد باتت مظاهر الاختلاف هاته تخضع لقراءة جديدة تتبع من الطموح الذي يحدونا لتحسين سبل التعارف فيما بيننا وتكريس مبدأ التكافؤ بيننا، القائم على إبداء المزيد من الحرص على مراعاة كافة حقوقنا وواجباتنا وآمالنا.

وقد تأتي قيام مؤسستنا، مؤسسة الثقافات الثلاث والأديان الثلاث لحوض المتوسط، انطلاقا من مبدأ الترفع المقصود عن مظاهر التخوف السائدة والتعاضى عن الالتباسات الأكثر إثارة للشبهة. لقد تجسدت كل الأبعاد التي ينطوي عليها هذا الخيار المستند إلى ترجيح منطق العقل وتغليب النزعة الإنسانية وتبني قيم الحداثة، وتجلت كافة المعاني والدلالات التي يحملها، عندما عقدنا العزم تلقائيا على إطلاق إسم أبينا المنعم جلالة المغفور له الملك الحسن الثاني، تغمده الله بواسع رحمته ورضوانه، على الرواق الذي يحتضن مقر المؤسسة.

لقد كانت مؤسستنا رائدة لأكثر من سبب، ذلك أنها كانت محقة وسباقة إلى توقع إثارة الجدل الزائف حول الصدام المزعوم للحضارات. كما بادرت قبل الأوان إلى بلورة الرد المناسب على أنصار نظرية الانكفاء على الذات والقائلين بوجود قطيعة روحية بين الشعوب.

وقد شكلت روح التوافق والالتزام التي تجمع بين المغرب وإسبانيا والأندلس، مصدر قوة وإلهام بالنسبة لمؤسسة الثقافات الثلاث لتقرض وجودها في ظرف وجيز كأحد الفاعلين المحوريين على صعيد حوض البحر الأبيض المتوسط، وتعمل بالتالي على إدراج الحوار بين حضاراتنا في صميم النقاش الإيديولوجي وطرحه على الساحة الدولية وإثارته داخل الأوساط الاقتصادية وعالم الإبداع الفني.

ومن منطلق البعد الكوني الذي ينطوي عليه جوهر رسالتها ومراميتها، فقد كانت مؤسستنا محقة في أن توجد لنفسها موطئ قدم في كل من أوروبا والشرق الأوسط ودول أمريكا الشمالية والجنوبية وآسيا، سعياً منها إلى نشر التراث المغربي الإسباني والتعريف بعناصره على أوسع نطاق ممكن وإبراز عمق الدلالات التي ينطوي عليها هذا الموروث المغربي الأندلسي.

وتتعاظم في الوقت الراهن أهمية الرسالة التي يحملها هذا الموروث بالنظر إلى مشاعر الخوف من الآخر التي غالباً ما تتملك مكونات المنتظم الدولي وكذا الهلوسات التي تستبد بها بسبب الشرخ الديني الذي يحلو لبعضهم أن يستمروا في التأقلم معه دون أن يضيرهم الأمر في شيء وربما في غياب أي وخز من ضمير.

إن المكاسب التي راكمتها مؤسسة الثقافات الثلاث في هذا الإطار لتعد مبعث فخر واعتزاز بالنسبة للعديد من منها ونحن محقون في ذلك.

أما بالنسبة لي، فإني أرى في هذه المكاسب أكثر من دافع لمواصلة المسير، فكلنا يعلم أن العديد من التصورات والأفكار المتجاوزة لا تزال تحكم قبضتها حولينا وتشتد وطأتها جراء حالة الاندحار الفلسفي والروحي التي ينبغي أن نتحد من أجل مواجهتها.

ترداد الأزمة الاقتصادية والمالية العالمية تقاماً واستفحالا مع توالي الأيام، مما يزيد من هشاشة الوضع القائم في كافة تجلياته، ويذكي من جديد جذوة مخاطر الإقصاء ونبذ الآخر والخوف المرضي من الإسلام ومعاداة السامية. وهي المخاطر التي غالباً ما نرى رأي العين إرهاباتها المقلقة تنتشر في أغلب بقاع العالم، بكل ما تحمله من مظاهر النكوس والرجعية. لذا، فلم يئن الأوان بعد لمنظمتنا كي تنتهي حالة التأهب.

إن العالم لا يزال في حاجة إلى من يعمل على مد الجسور ويحظى من أجل القيام بذلك، بالشرعية والمصدقية اللازمتين لدى مؤسستنا.

وحاجته تلك تتبع من رغبته وأمله في أن تتدمل يوماً ما ندوب هذه الحقبة التي طال أمدها أكثر من اللازم وتعرضنا خلالها لخطر التفهقر والانحسار بذريعة نشوب صدام الحضارات وبسبب اللجوء إلى التوظيف المغرض للعقائد الروحية التي ندين بها.

لذا، ينبغي لمؤسسة الثقافات الثلاث والأديان الثلاث لحوض المتوسط أن تجعل من هذا التحدي المتمثل في تغليب منطق العقل من جديد وإعادة بناء أسسه، محورا للعمل الذي تعتزم القيام به في المستقبل.

هاهي ذي إذا الغاية المثلى التي ينبغي السعي إلى تجسيدها من خلال المزاجية بين كافة الهويات والثقافات لجعلها تنصهر في بوتقة ثقافة واحدة أو مجموعة من الثقافات المشتركة. وهو المقصد ذاته الذي يدعو المغرب إلى تحقيقه ويلتزم بمبادئه من خلال تبنيه خارطة الطريق التي ستتكتب مؤسستنا على بلورتها في المستقبل".